كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢ـ باب فضل الحمد والشكر

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب حمد الله وشكره ـ «حمد الله» يعني وصفه بالمحامد والكمالات وتنزيهه عن كل ما ينافي ذلك ويضاده، فهو سبحانه وتعالى أهل الحمد، يحمد على جميل إحسانه وعلى كمال صفاته جلَّ وعلا مع المحبة والتعظيم، وقد حمد الله نفسه في ابتداء خلقه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. وحمد نفسه على تنزيهه عن الشريك والند، فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وحمد نفسه جلَّ وعلا عند انتهاء الخلق فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. فهو جل وعلا محمود في ابتداء الخلق وانتهاء الخلق واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، بل محمود على كل حال، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره. قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[١]»، وإذا أتاه ما يخالف ذلك

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٧٩٣).

قال: «**الحمد لله على كل حال**[1]»، وما يقوله بعض الناس اليوم: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهو خطأ غلط، لأنك إذا قلت: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهو عنوان على أنك كاره لما قدِّر عليك، ولكن قل كما قال النبي ﷺ: «**الحمد لله على كل حال**»، هذا هو الصواب وهو السنة التي جاءت عن النبي ﷺ.

وقد حمد الله نفسه وأمر بحمده فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. فأمرنا أن نحمده جل وعلا، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة لا تتم الصلاة إلا به، فالفاتحة أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لو أسقطت هذه الآية من الفاتحة ما صحت صلاتك، فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر، الشكر على إنعامه، كم أنعم عليك من نعمة؟! عقل وسلامة بدن، ومال، وأهل، وأمن، نِعَمٌ لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. لو لم يكن من نعمته عليك إلا هذا النفس الذي لو اغتممته لفقدت الحياة، مع أنه يخرج بدون أن تحس به وبدون أن تتعب له، وانظر إلى الذين ابتلوا بضيق النفس، كيف يتكلفون عند إدخال النفس وإخراجه، وهذا النفس مستمر دائم، نعمة لا تحصى أبدًا، العقل، الأولاد، المال، الدِّين كل هذه نعم عظيمة، يستحق جل وعلا أن يشكر عليها، والشكر، قال أهل العلم: هو القيام بطاعة المنعم، هذا هو الشكر أن تقوم بطاعة المنعم ولا سيما

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، رقم(٤٣٧٧)، والترمذي: كتاب الأدب، باب ما يقول العاطس إذا عطس، رقم(٢٦٦٢).

جنس هذه النعمة، فإذا أنعم الله عليك بمال فليكن عليك أثر هذا المال في لباسك، في بيتك، ومركوبك، وصدقاتك، ونفقاتك، ليرى عليك أثرُ نعمة الله عليك في هذا المال. بالعلم إذا أنعم الله عليك بعلم فلير عليك أثر هذا العلم، من نشره بين الناس، وتعليمه الناس والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وغير ذلك، فالشكر يكون من جنس النعمة التي أنعم الله بها عليك، أو بأعم.

إذن فمن عصى الله فإنه لم يقم بشكر نعمة الله؛ لأنه كفر بنعمة الله، والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. فالعاصي لم يقم بشكر نعمة الله عزَّ وجلَّ، وينقص من شكره بقدر ما أتى من المعصية، حتى لو قال الإنسان بلسانه: أشكر الله، الشكر لله وهو يعصي الله، فإنه لم يَصْدقُ فيما قال، فالشكر هو القيام بطاعة المنعم.

والشكر له فائدتان عظيمتان، منها: الاعتراف بالله تعالى في حقه وفضله وإحسانه، ومنها أنه سببٌ لمزيد النعمة، كلما شكرت زادت نعمة الله عليك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. إذا شكر الإنسان زاده الله، وإذا كفر عرض نفسه لعذاب الله، وعذاب الله تعالى شديد، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]. واشكروا لله تعالى على هذه النعمة التي أنعمها عليكم، وسهل لكم الوصول إليها فوصلت إليكم من غير حول ولا قوة، هذه الطيبات التي

نأكلها لو شاء الله تعالى لم نقدر عليها إما لعسر فينا وإما لفقد هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٣].

فالمهم أن علينا أن نشكر نعمة الله، ويكون الشكر من جنس النعمة، فتبذل من العلم والمال بحسب ما أعطاك الله عزَّ وجلَّ، الصحة أيضًا، أنت أعطاك الله صحة ونشاطًا واحتاج إخوانك إلى المساعدة والمعاونة، فمِن شُكرِ نعمة الله أن تعينهم، والله الموفق.

* * *

قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

الشـــرح

قال المؤلف الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - باب حمد الله وشكره، وقد سبق الكلام على هذا، ولكننا لم نتكلم على الآية الأولى، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

فاعلم أن ذكر الله عزَّ وجلَّ هو ذكر القلب، وأما ذكر اللسان مجردًا عن ذكر القلب فإنه ناقص، ويدل لهذا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. ولم يقل من أسكتنا لسانه عن ذكرنا، قال من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فالذكر النافع هو ذكر القلب، وذكر القلب يكون في كل شيء، يعني معنى ذلك أن الإنسان وهو يمشي وهو قاعد وهو مضطجع إذا تفكر في آيات الله عزَّ وجلَّ فهذا من ذكر الله، ومن ذكر الله أيضًا ما جاء في السنة مثل: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» و«**سبحان الله**» وما أشبه ذلك.

ومن ذكر الله أيضًا الصلاة، فإنها من ذكر الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال بعض العلماء: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، فعلى كل حال ينبغي للإنسان عند ذكر الله باللسان أن يكون ذاكرًا لله في قلبه حتى يتطابق القلب واللسان وتحصل الفائدة، لأن مجرد الذكر باللسان ينفع الإنسان ولكنه ناقص، لكن الذكر بالقلب هو الأصل والمهم.

واعلم، أن الله تعالى يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله قال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**[١]»، يعني أن الإنسان إذا

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، رقم(٦٨٥٦)، =

ذكر الله في نفسه وليس حوله أحد، ذكره الله في نفسه، وإن ذكر الله وحوله ملأ يعني في جماعة ذكره الله في ملأ خير منهم، وهذا يدل على فضيلة الذكر أن الله تعالى التزم بأن من ذكره في نفسه ذكره في نفسه، ومن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير منهم، وقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾. وقد سبق معنى الشكر ومعنى الكفران، ويأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا الباب في الأحاديث القادمة.

* * *

١٣٩٣ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ جبريلُ ﷺ: «الحَمْدُ لله الَّذي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ(١)» رواه مسلم.

١٣٩٤ ـ وعَنْهُ عَنْ رسول الله ﷺ قالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فيهِ بالحَمْدُ لله فَهُوَ أَقْطَعُ(٢)» حديثٌ حسنٌ، رواه أبوداود وغيره.

١٣٩٥ ـ وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَع فَيَقُولُ الله تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بيتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوه بَيْتَ

= ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم(٤٨٣٢).

(١) رواه البخاري: كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب، رقم(٥١٤٨)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن، رقم(٣٧٥١).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم(٤٢٠٠).

الحَمْدِ[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٦ ـ وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا[٢]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل حمد الله تعالى وشكره، ومن المعلوم لنا جميعًا أن كل ما بنا من نعمة فمن الله عزَّ وجلَّ، وأنه إذا مسنا الضر فليس لنا ملجأ إلا إلى الله، وأن الإنسان إذا أصيب بما يكره أو بما يؤذيه فإن الله تعالى يكفر بذلك عنه، ما من أذى أو هم أو غم يصيب المؤمن إلا كفر الله بذلك عنه حتى الشوكة يشاكها، إذن فنعم الله عظيمة كثيرةٌ لا تحصى، لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالى وأن نشكره على نعمه التي أسبغها علينا.

ومن فوائد الحمد أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، يعني أراد أن يؤلف كتابًا أو يتكلم في كلامه، خطبة أو غير ذلك، إذا حمد الله جعل الله فيه البركة، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع، يعني منزوع البركة، لكن قد ينوب عن الحمد غيره كالبسملة

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤١٥)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، رقم(٩٤٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم(٤٩١٥).

مثلاً، البسملة أيضًا يبارك الله فيها بأشياء كثيرة منها: أن الإنسان إذا ذبح الذبيحة إن قال «**بسم الله**» حلت الذبيحة، وصارت طيبة، وإن قال «**الحمد لله**» لم تحل الذبيحة. لأن الذبيحة لا تحل إلا بالبسملة، وإذا قال عند الذبح: «**الله أكبر**» ولم يقل «**بسم الله**» لم تحل الذبيحة. فكل أمر يبدأ فيه بالحمد لله فهو خير وبركة لكن قد ينوب عن الحمد ما سواه كالبسملة عند الأكل والشرب والذبح والوضوء وإتيان الرجل أهله، يقول: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**[1]» وغير ذلك.

ومن فوائد الحمد أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها، وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها، فما هي الأكلة؟ هل هي الوجبة أو كل ردة يردها الإنسان إلى فمه فهي أكلة؟ الحديث محتمل، وكان الإمام أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله ـ كل ما أكل ردة قال: الحمد لله، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: أكل وحمد خير من أكل وسكوت، وكأن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ رأى أن الأكلة هي الردة، وعلى هذا يكون حمد الإنسان على طعامه كثيرًا، لكن أكثر العلماء يقولون: أن الأكلة هي الوجبة، تجلس على الطعام، وإذا شبعت تقول: الحمد لله، والحمد كله خير، فهذه من فوائد الحمد، أنه إذا حمد الإنسان على أكله وشربه كان ذلك سببًا لرضا الله عزَّ وجلَّ عنه، نسأل الله أن يحل

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، رقم(١٣٨)، ومسلم: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم(٢٥٩١).

علينا وعليكم الرضا، إنه على كل شيء قدير.

وما حكم الأكل باليسار؟ الأكل والشرب باليسار حرام، والذي يأكل بشماله ويشرب بشماله مشابه للشيطان مقتد به، مجانبٍ لهدى الرحمن، ولهذا رأى النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله، قال: «**كل بيمينك**»، قال: لا أستطيع، فقال له: «**لا استطعت**[1]»، فشلت يمينه وصار لا يستطيع أن يرفعها إلى فمه، وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يأكل باليمين ويشرب باليمين، حتى الشرب وأنت تأكل لا تشرب بالشمال ولكن اشرب باليمين حتى لو أصاب الكأس أو الماعون طعام فإنه يُغسل، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٣٧٦٦).